

# المرّبع السيميايِّي والتَّركيب السرديُّ

دانيال باط

جامعة فندريليت، الولايات المتحدة

ترجمة عبد الحميد بورايو

جامعة الجزائر

لكي يتمكّن د. باط D. Patte من تحليل البنيات السيمياسردية يقترح تقديم نظرية ومنهج سيميايّيين. من هذا المنظور، يؤكّد بالاحاج (وهو أمر يندر فعله) على العلاقة بين الدلالة والتركيب السردي. كان في حاجة بدون شك إلى مجال أوسع، فهو هنا، يدعم حجته، وهناك يبلغ بالمعالجة نهايتها. لم تكن كراستان من الوثائق لتكفيه. لن أعد القارئ إذن وهو ينتقل من صفحة إلى أخرى بأنه لن يجد صعوبة ولن يتذمّر.

من يروم الصعب لن يخيب ظنه. فالمؤلف يتوقع منه نباهة لا تهن.

(ج. ل. كوكى)

\* منشور في سلسلة وقائع سيميايّة، صادرة عن مطبوعات فريق الأبحاث السيميو-لسانية، المعهد الوطني

للغة الفرنسية ببوزنسون، فرنسا، المجلد III. العدد 23. السنة 1981.

Carré sémiotique et syntaxe narrative: D.Patte, in Actes sémiotiques, Documents du Groupe de recherches Sémiolinguistiques, E.H.E.S.S.-C.N.R.S. Institut National de la langue française, III, 23. 1981.

# التفسير البنوي لمارك\*

Carré sémiotique et syntaxe narrative

يطرح هذا العمل من جهة، إسهاماً للنظرية السيميائية، سعياً لإبراز العلاقات بين التجلّي السردي للسطح والدلاله الأساسية، ومن جهة أخرى يقدم نموذجاً للتحليل ممثلاً للمنهج المترعرع عن هذه النظرية، والذي يسمح بتوسيع نسق القيم العميقه التي يفترضها نصّ استاداً إلى دراسة نظامه السردي للسطح. هذه النظرية ومنهج التحليل هذا هما نفسهما المقترنان من طرف دانيال Daniel وألين Aline باط Patte، في "من أجل تفسير بنوي" (باريس Paris "Pour une exégèse structurale 1978) ودانيال وألين باط في : Structural exegesis : From Theory to Practice (Philadelphia, Fortress Press, 1978). هذه الوثيقة تكملهما. في هذه الأعمال يُتَّخذ بيان النموذج النظري المراعي للعلاقات ما بين التجلّي السردي والدلاله العميقه كنقطة انطلاق نظرية ليفي-سترووس Lévi-Strauss حول بنية الأسطورة. اتبّع هذا البيان مسعى، وإن كان مستوحى من ليفي-سترووس، فقد عدلّت جذرّياً اقتراحاته النظرية. هنا، اقترح النموذج النظري نفسه، متخدّاً المربع السيميائي نقطة انطلاق، إذن من منظور أكثر ارتباطاً بصفة واضحة بالمشروع السيميائي الذي صاغه أ. ج. غريماص.

## I. من المربع السيميائي إلى التجلّي السردي

### 1.I التنظيم الدلالي والسردية في قصة بسيطة

من المناسب في البداية أن نضع مشكل النظرية السيميائية التي نريد معالجتها في موقعها المناسب، في الشبكة البنائية التي يسمّيها غريماص المسار التوليدّي. نذكر أنه في هذا النموذج يقترح غريماص القيام بتمييز بين بنيات سيميا-سردية وبنيات سيميا-خطابية. يقع النموذج الذي نسعى إلى إقامته، بصفة

\* Exégèse structurale de Marc, ch.5. Daniel Patte (Vanderbilt University, Etats-Unis).

حصرية في مستوى بنيات سيميا سردية. فهو لا يسمح إذن بمحاجة ظواهر نصية مرتبطة بالبنيات الخطابية : التخطيب بمعناه الحقيقي (التمثيل، التزمن، التفخيم)، **الثيممة** (thématisation)، التصوير.

من بين البنيات السيميائية، يميز غريماص البنيات السيميائية التركيبية (التركيب السردي الأساسي والتركيب السردي السطحي) والبنيات السيميائية الدلالية (الدلالة الأساسية والدلالة السردية). هدفنا إظهار القوانين التي تحكم العلاقات بين مختلف هذه المكونات السيميا-سردية. من أجل ذلك من المناسب إمعان النظر في نظرية المربع السيميائي التي يقترحها غريماص كنموذج لشبكة علاقات الدلالة الأساسية، وتبين كيف أن المربع السيميائي قابل للتماثل مع بعض أوجه التركيب السردي.

لذكّر بأنه بالنسبة لـ A. J. غريماص، المربع السيميائي هو قبل كل شيء بنية ابئاق تسعى إلى تمثيل كيف يتم إنتاج الدلالة عن طريق سلسلة من العمليات الإبداعية لواقع متباعدة (حوار مع F. Naf في F. Nef. ناف وأد) : البنيات الأولية للدلالة *Structures Elémentaires de la Signification*، منشورات كومبلكس Complexe، بروكل، باريس، 1976). منذ ذلك الحين، بدا أن المربع السيميائي قابل للتماثل مع التركيب السردي السطحي الذي هو بدوره، بنية ابئاق للدلالة. هاتان اللغتان الوصفيتان متعدلتان لأنهما متشاكلتان ولكنهما ليستا متاظرتين (غريماص، في : في المعنى *Du Sens*، ص 167). المربع السيميائي هو نموذج تصنيفي يسمح بتمثيل نسق القيم، الذي ينظم العالم الدلالي الأدنى والذي هو ممسرد في المستوى المؤنسن تبعاً لضرورات التركيب السردي.

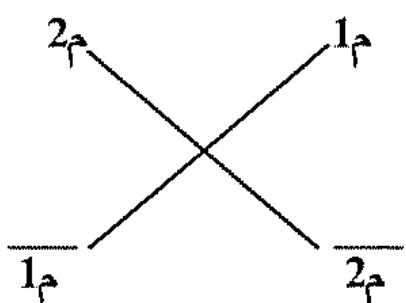
أضحت خصوصية المربع السيميائي من حيث إنه يسمح لا برصد التنظيم العام لعالم دلالي أدنى (المربع التصنيفي) فحسب، بل وكذا بتدخل العلاقات مابين عناصر دلالية تمت محاصرتها أثناء تحليل في مستوى التركيب السردي السطحي. بهذا استخدم غريماص المربع من أجل تقديم تداخل العلاقات ما بين الحالات السردية (مربع الحالات، انظر : "حركة الضرورات السيميائية Les jeux

"في المعنى des contraintes narratifs يمكن أن تتموقع موضوعات القيمة (المربع الموضعي للانتقالات، ينظر : "عناصر النحو السردي Eléments d'une grammaire narrative المرجع نفسه، ص-ص. 157-183)، ما بين الجهات (مربع الجهات ينظر مجلة لغات Langages، العدد 43، 1976). بدراستها لمختلف أصناف الخطاب تستعمل المقالات المتوعة التي ضممتها الكتاب الذي أشرف على تأليفه ف. ناف F. Neuf مختلف هذه المربعات، وهي تبرهن، زيادة على ذلك، على أنَّ المربع مناسب لتمثيل تداخل العلاقات ما بين العوامل (ج. ك. بيكار، عن / غريماس، ص-ص. 23-24)، ما بين الوظائف (انظر : ج. كورتاس J.Courtes، ص-ص 73-89؛ ج. كومبي G.Combet، ص-ص 70-71) وبين الأشياء-الموضوعات objets (انظر : كومبي، ص-ص 70-71).

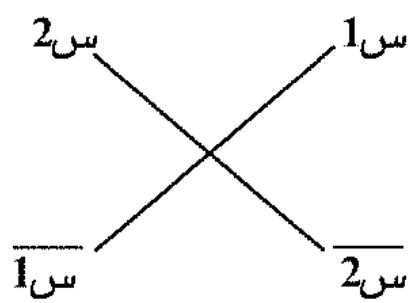
نقترح إثارة المسألة المزدوجة المتعلقة بعلاقة مختلف هذه المربعات بعضها وبالتالي التركيب السردي السطحي والتجلّي السردي. إننا ونحن نسلط الضوء على شبكة العلاقات التي توحّد المربع التصنيفي والتركيب السردي والتجلّي، نقوم بإظهار الضرورات التي تشغل نسق القيم العميقه (الممثلة عن طريق المربع التصنيفي)، تعمل الدلاليات السردية (التي أحدها بالعالم الدلالي الأدنى للخطاب، سيشرح هذا لاحقاً)، في إبرازها للسردية حسب التركيب السردي الأساسي ثمَّ السطحي، وما يتجاوز ذلك، على إنتاج التجلّي ذاته، إنَّ التعرف على هذه الضرورات يعني معرفة القوانين التي تحكم النقل السنّني لنسق القيم من المستوى التصنيفي إلى عناصر سردية في المستوى المؤنسن والعكس صحيح. من هنا، فإنَّ هذا البحث النظري سيوصل إلى إقامة منهج يسمح، بفضل مقاييس صارمة، باستخراج نسق القيم (العالم الدلالي الأدنى)، ويتجاوز ذلك، إلى النسق التصنيفي المفترض عن طريق التجلّي. في الحقيقة، لقد عرفنا النقل السنّني لعناصر من التجلّي إلى عناصر سردية مستمرة في التركيب السردي للسطح، إنَّ تحليلاً مثل هذا يمكن أن يجري بصرامة لازمة بفضل تداخل عدد من مستويات التحليل (بالخصوص، في حدود، تحولات سردية، نقل الموضوعات، النموذج العاملاني، الجهات). في المقابل، من أجل تحديد مقولات إيحائية حصيفة،

حتى الآن، نستخدم مقاييسا واحدا فقط : عمل المربع. فإذا ما كانت قوانين نقل سنن المركبة التركيبية إلى مركبة دلالية، والعكس، قد أقيمت يمكن لدينا مجموعة من المقاييس الإضافية. يتطلب هذا البحث النظر إلى العلاقات بين المركبة الدلالية والمركبة التركيبية بصفة مفصلة.

لكي نبدأ ، لابد من العودة إلى مقال "مبادئ نحو سردي" (المذكور سابقا، ص ص. 157-183)، أين اقترح غريماس نموذجا للعلاقة بين الدلاللة الأساسية، الممثلة في المربع التصنيفي، والتركيب السردي، الممثل في المربع الموضعي للانتقالات. هذان المربعان تم تقديمهم على الشكل الآتي :



المربع الموضعي للانتقالات



المربع التقسيمي

لذكر قبل كل شيء، بأن المربع الموضعي للانتقالات يمثل دوران موضوعات القيمة (في المثال الآتي، بنت الملك) على أنها تتبع من الانتقالات موضوعات القيمة (التي) يمكنها أن تأخذ مسارين :

$$(1) - و(م 1 \leftarrow مو \leftarrow م 1) \leftarrow و(م 1 \leftarrow مو \leftarrow م 2)$$

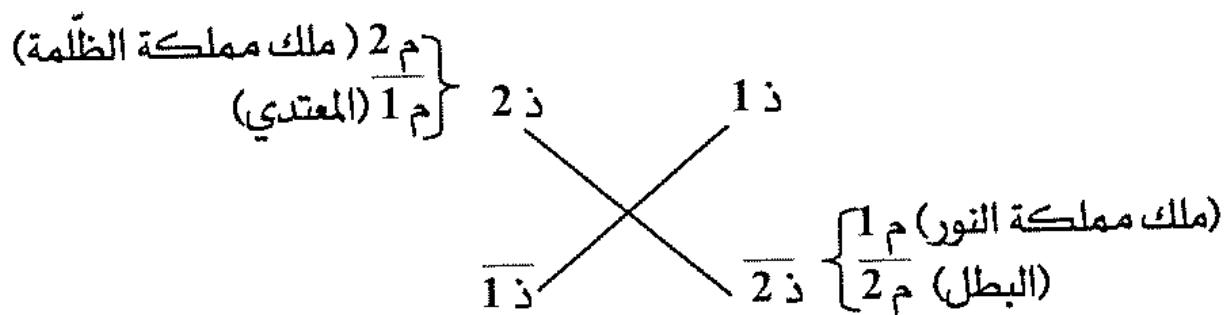
الذي يمكن أن يؤول، في الحالة الخاصة بحكايات برووب Propp الروسية، هكذا : المجتمع (م 1) يعني من نقص، المعتمي (م 1) يغوي بنت الملك (مو) وينقلها بعيدا ليخفيها (م 2) :

$$(2) - و(م 2 \leftarrow مو \leftarrow م 2) \leftarrow و(م 2 \leftarrow مو \leftarrow م 1)$$

وهذا يعني أنَّ البطل ( $\bar{M}^2$ ) يجد في مكان ما ( $M^2$ ) ابنة الملك ( $M^0$ ) ويعود بها إلى والديها ( $M^1$ ), (المراجع نفسه ، ص 177).

يطرح غريماص اقتراحين بخصوص العلاقة بين الدلالة الأساسية والتركيب السردي. من ناحية، في الجزء الأول من حجته، يوحي بأنَّ تضاداً سردياً يوافقه تضاد دلاليٍ يقوم على التناقض في المربع التصنيفي (نفس المرجع، ص ص. 162-166). من ناحية أخرى، في مناقشته للعلاقة بين المربع التصنيفي والمربع الموضعي للانتقالات، كتب : "تمثيل موضعي مثل هذا لدوران موضوعات-القيمة يصلح للتعرُّف على الانتقالات المزدوجة للنموذج التصنيفي ... " (ص 176). إذا ما أؤكنا هذا الاقتراح الثاني بالنظر إلى الأوَّل يمكن إدراك حين ذاك التضاد السردي الممثل بتضادٍ مزدوجي المربع الموضعي للانتقالات يوافق تضاداً تناقضياً (خطاطة) للمربع التصنيفي (مادام مزدوجاً المربع الموضعي يوافقان حدود المربع التصنيفي).

يُمكِّننا إذن تمثيل العلاقة بين المربعين على الشكل الآتي، سوف نبرز فيما بعد اختيارنا للخطاطة. نقترح استثمار المربع الموضعي تبعاً لمثال الحكايات الروسية المقترن من طرف غريماص.



يوضح هذا التمثيل توافق حدود (القيم العميقة) للمربع التصنيفي (كما هو س<sup>2</sup>) مع وحدات أكثر تعقيداً ومؤنسنة للمربع الموضعي للانتقالات (مثل السمة  $M^2 - M^1$ ).

يجب علينا السعي الآن من أجل فهم دقيق لهذا التوافق، من أجل ذلك، لنتحقق ما يمثّله كُلّ مزدوج من المربع الموضعي للانتقالات، لنعاود التفكير في هذه الموافقة منطلقين من النقطة التي توقف عندها غريماص في بحثه.

قبل كل شيء، ماذا يمثل مزدوجاً المرّع الموضعي للانتقالات؟ في الحقيقة، اثنان من المفهومات السردية الأربعة للمسار المضعف لموضوعات القيمة (المفوظان الآخرين ممثّلان عن طريق خطاطات المرّع الموضعي للانتقالات): من ناحية فعل المعتمدي، و(م<sub>1</sub> ← مو ← م<sub>2</sub>)، ومن ناحية أخرى فعل البطل و(م<sub>2</sub> ← مو ← م<sub>1</sub>)، من أجل فهم علاقة الموافقة بين حدّ المرّع التصسيمي سـ1 ومزدوج المرّع الموضعي للانتقالات، لا بدّ من ملاحظة أنّ المفهوم السردي قد ينحلّ إلى عنصرين مؤسسين، في الحقيقة، م<sub>2</sub> (البطل في المثال السابق) يمثل الذات le sujet، والعلاقة "مو ← م<sub>1</sub>" (نقل بنت الملك "مو" إلى أهلها "مـ1") تمثل الوظيفة. تقترح منذ هذه اللحظة، النظر بصفة مستقلّة من ناحية الانتقالات التي تتجلى عن طريق الوظائف باعتبارها قضايا، ومن ناحية أخرى إلى الذوات، التي تميّز بحالات (ذوات الفعل هي قبل كل شيء ذوات حالة متمتّعة فعلاً بكماءات معينة).

لتنظر قبل كل شيء للوظائف، باعتبار وظيفة ما، وحدة سردية، هي القيمة السردية للعلاقة ما بين الاستثمارات الدلالية لواقع عاملية، موضوعاً ومرسلاً إليه، إنّها منح / حرمان من موضوع خاص لرسل إليه خاص، إنّها تحول حالة مرسى إليه مـ1 مو أو مـ2 مو ← مو. إذن من الواضح من ناحية أن الوظائف أو التحوّلات (التي سوف ندعوها كذلك من الآن فصاعداً) تتّميّز للمستوى المؤسّن للنموّ السردي، ومن ناحية أخرى إنّ مزدوج المرّع الموضعي للانتقالات ييرز تحولات سردية مُتَخَالِفة : "منح عكس حرمان" وليس "منح عكس عدم منح" أو "حرمان عكس عدم حرمان" (أنظر من جديد مثال الحكاية الروسية المقترحة من طرف غريماص) أي يمكن تمثيل التحوّلات (أو الوظائف) المرّع الموضعي للانتقالات تحت شكل تضادٍ مُخالِفة :

## تـ1 عـكـس تـ2

من البديهي أنّه بإمكاننا تصوّر تضادٌ مُخالِفة آخر عن طريق تحولات تشكّل المخالفات الذاتية لمرّع تحولات (الذي نستطيع تسميتها مرّع الوظائف).

(اختبار رئيسي) ت 1

ت 2 (مكر)

(اختبار تأهيلي) ت 2

ت 1 (اختبار تأهيلي للمعدي)

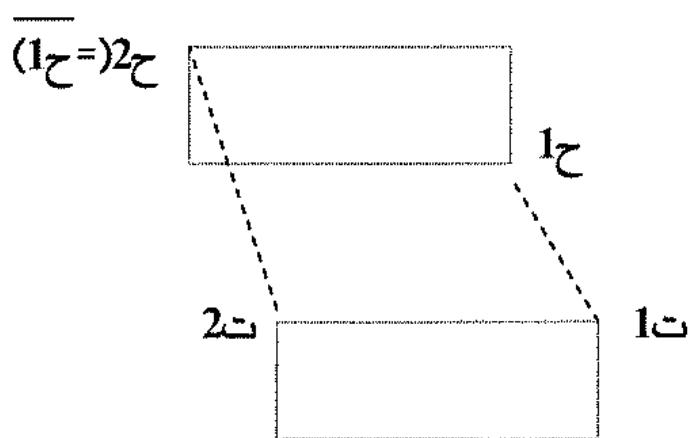
إذا ما احتفظنا في أذهاننا بالحكاية الروسية، أمكننا فهم ما هي التحوّلات التي تشكّل المخالفات الذاتية. إذا ما كانت ت 1 تمثّل التحوّل الموضعي (الذى تمّ إثاء الاختبار الرئيسي)، ت 2 تمثّل التحوّل التأهيلي (الذى جرى إثاء الاختبار التأهيلي). من الواضح أنّ هذين التحوّلين يكونان في علاقة تلازم. من ناحية أخرى التحوّل التأهيلي، ت 2، الذي يهيئ للتحوّل الموضعي (نزعه البطل المضادة للمكر). يمكن إذن تصور ت 1 على أنه يمثل التحوّل المضاد المؤهّل (أي الاختبار التأهيلي للمعدي).

ما دام تضاد المخالفة ت 1 عكس ت 2 يوافق "خطاطة" (تضاد تاقضي)، للمرتع التصنيفي، مرتع التحوّلات للمستوى المؤنسن لا يوافق مباشرة مرتعًا تصنيفياً. قبل محاولة فهم ما هي العلاقات ما بين هذين المرتعين، عليناأخذ العنصر الآخر للملفوظ بعين الاعتبار : الذات.

يربط ملفوظ سرديّ تحوّلاً ذاتاً فعل. كما رأينا سابقاً فإنّ ذات فعل هي قبل كلّ شيء ذات لحالة متمتّعة بكافأة ما. يمكن إذن أن تعتبر كنتيجة لتحول (سواء كان صريحاً أو ضمنياً). أي أنّ ذات الملفوظ يمكن أن ينظر لها كتجّلٍ رمزيٍّ (يمكن إدراكه كاستثمار لواقع عاملية لذات، لمساعد، ومن المحتمل لمرسل ولمعارض) لحالة. إلى جانب ذلك، ماهي العلاقات التي توجد ما بين الحالات المتجليّة عن طريق الذوات المشتركة في التحوّلات التي ناقشناها؟

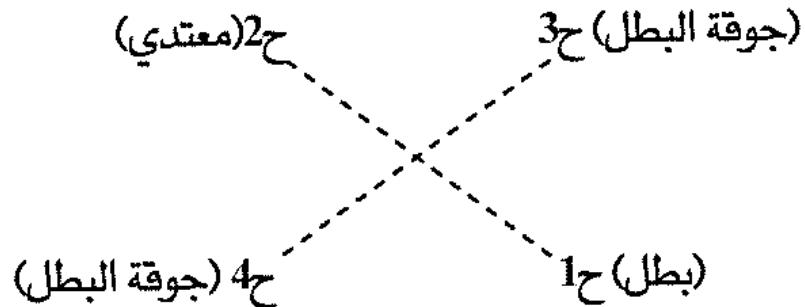
لنلاحظ أولاً العلاقات ما بين الحالات المتجليّة عن طريق الذوات (البطل والمعدي، في مثاناً) المشتركة في ت 1 وت 2. لكي يصبح الصدام بين البطل

والمعدي ممكناً في أداءات مترادفة، لا بد أن يكونا في "الميدان نفسه" ويكون لكلٍّ منهما مساعدون مناسبون لمصارعة الآخر. بهذا، ومع أنهما يحملان قيمًا مترادفة، لا بد من أن ينتميا للعالم نفسه، للفضاء المتشاكل نفسه. حالة هاتين الذاتين إذن مترافقتان. لنذكر بأن تضادًا تاقصيا هو في الحقيقة، تضاد جزئي، من حيث إنه يحرّك عناصر دلالية داخل "الحقل الدلالي" نفسه، الذي يسمّيه غريماص "فضاء متشاكل". مثلاً، بطل ومعدي يمكنهما معاً أن ينتميا لفضاء متشاكل "محارب داهية": أحدهما يتجلّى فيه إثبات "الدّهاء" (هذا البطل محارب داهية) والأخر يتجلّى فيه نفي "الدّهاء" (هذا المعدي محارب لا يملك الدّهاء). هكذا، يبدو أنَّ كلَّ تضادٍ تخالف في التحوّلات (ت١ عكس ت٢) يوافق علاقة تاقص ما بين الحالات (قيم استبدالية) متجليّة عن طريق النّوات ومؤهّلاتهم). يجب إذن قراءة تضاد ملفوظين سريدين على صعيدين يرتبط كلُّ واحدٍ منهما بالآخر بعلاقة إسقاط. على صعيد تطور النحو السردي (للتركيب السردي السطحي)، تحولاتهما هي في علاقة تخالف، بينما على الصعيد الدلالي (للدلالة الأساسية) حالتهما في علاقة تاقص.

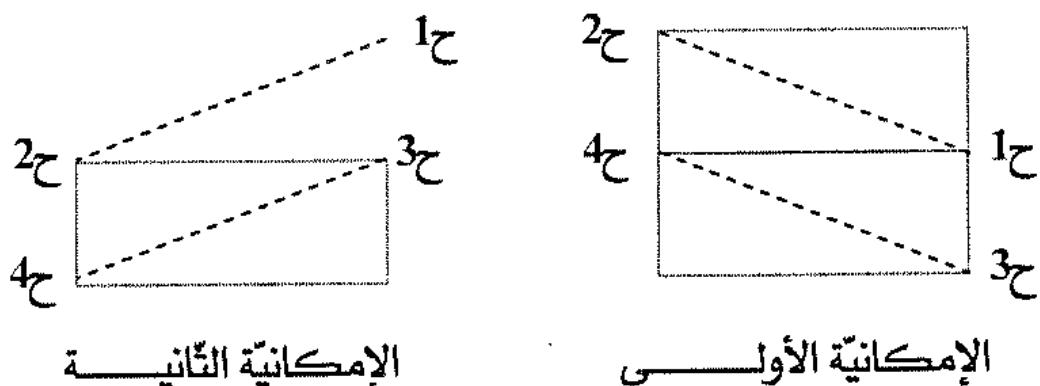


من الـبـديـهيـ طبعاً أنَّ الـقيـاسـ نفسه ينطبق على العلاقة بين الحالات التي تـتجـلـيـ عن طريق النّوات المشاركة في التحوّلات في موقع التـخـالـفـاتـ ت٢ عـكـسـ ت١: هذه الحالات، التي ندعوها على التـوـالـيـ ح٣ و ح٤، هي في علاقة تاقص.

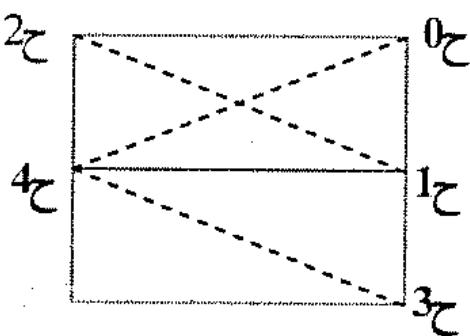
يُقى أن نوضح ما هي العلاقات ما بين الحالات الأربع ح١، ح٢، ح٣، ح٤، مادامت تشكل خطاطتين، كنّا قد حاولنا أولاً التكبير في أنها ترجع لمربع سيميائي واحد :



هذا النموذج مهما كانت أناقته، لا يسمح أبداً بأن توضع في الحسبيان علاقة التلازم وفق المزدوج الإيجابي. في الحقيقة، يفهم أن هناك علاقة تلازم ما بين ح٢ (الحالة المتجلية لدى المعتمد وفي مؤهلاته) وح٤ (الحالة المتجلية لدى جوقة المعتمد باعتباره ذات تحول الاختبار التأهيلي - الضديد). لـ ح٢ وح٤ على الأقل ملحوظ دلالي مشترك: مثلاً ينتمي الاشان لمملكة الظلام. ح٢ يتجلّى فيه هذا الملحوظ بصفة أكثر مباشرة وأكثر دقة من ح٤: تتجلّى في المعتمد بصفة مباشرةقيمة التي تميز مملكة الظلام (مثلاً أن يكون شريراً) قياساً إلى جوقة. الحدود التي تكون في علاقة تلازم هي، في الحقيقة، في علاقة ترديد دلالية (غريماص، موبسان، ص 43-45) : أحدهما (الم رد) يكون "مكتفاً" بينما يكون الآخر في "توسيع". لابد إذن من إدراك خطاطتي الحالتين الموافقتين لمربع التحوّلات على أنهما منتميان لمربعين يتبع أحدهما الآخر. هناك احتمالان:



من أجل الاختيار بين هاتين الإمكانيتين، لابد من النظر إلى الطريقة التي تتبعها لإتمام هذا النموذج بشكل يسمح بإبراز مربع تام على الأقل. لذلك، نعود للحكايات الروسية والمقولات المستمدّة من أبحاث بروب، وضعنا حتى الآن في حسابنا المكر (الذي قمنا بتفكيكه إلى اختبار تأهيلي-ضديد واختبار رئيسي-ضديد)، الاختبار التأهيلي والاختبار الرئيسي. لكننا لم نضع في حسابنا الاختبار التمجيدي. الإمكانية الأولى وحدها تسمح بالقيام بذلك. في الواقع من السهل علينا إدراك (ونحن نقوم باستدلال مماثل لما اقترحناه آنفا) أن ذات الاختبار التمجيدي (مثلاً: الملك الذي يهب البطل جزءاً من مملكته) تتجلى فيه الحالة  $H_0$  التي هي في علاقة تلازم مع  $H_1$ ،  $H_0$  باعتبارها المردود الدلالي وحالات باعتبارها المردود للفتح: يتجلّى عن طريق الملك بشكل أكثر مباشرة ما يميّز مملكة النور أكثر من البطل، هكذا نحصل على النموذج التالي :



يُيقِنُ بعْدَ ذَلِكَ التَّأكِيدُ مِنْ سَلَامَةِ الْعَلَاقَاتِ الْأُخْرَى لِلْمُرْتَبِ الَّذِي تُمْ  
الْحُصُولُ عَلَيْهِ بِهَذِهِ الصَّفَةِ. وَحْدَهُ تَحْلِيلُ النَّصْوُصِ يُسْمِحُ بِذَلِكَ حَقًا. فِي خَيْنِ  
تُسْمِحُ بِعُضُّ الْمَلَاحِظَاتِ النَّظَرِيَّةِ الإِضَافِيَّةِ بِاِكْتِشَافِ مَدْىِ مُصَدَّاقِيَّةِ هَذَا النَّمَوْذِجِ.

لذكر أولاً بأن مزدوجات مربع هي في علاقة تناقض : مثلاً يمكن أن يكون المزدوجان متناقضين لأن أحدهما تجلّى فيه قيمة تتعلق بالثقاقة والآخر تجلّى فيه قيمة تتعلق بالطبيعة (غريماص، في المعنى، ص 143). من هنا، فإنَّ التضاد ح ٢ الذي يمثل التضاد بين التعبليات الأكثر "كثافة" لقيم مزدوغاته على التوالي هو بالتأكيد تضاد تناقض، الشيئ نفسه ح ١ عكس ح ٤ هو تضاد تناقض (أو بصفة أكثر دقة، تناقض ذاتي *subcontrariété*) باعتبار أنَّ هذه الحدود تجلّى فيها "بتوسيع" قيمة مزدوغاتها على التوالي. نستطيع إذن أن نفهم

نظريًا جميع علاقات المريع، باستثناء تضاد التناقض ح ٤، لكن، إذا ما كانت بقية العلاقات حقيقة، هذه الأخيرة لا يمكن أن تكون إلا حقيقة.

مما سبق، ينبع أن مربع الحالات (أي قيم تجلّى من خلال مؤهلات ذات بعض التحوّلات) الذي تم الحصول عليه بهذه الصفة يوافق مباشرة المربع التقسيمي. لكن كما سوف يوحى بذلك فيما بعد تستطيع قصة ما أن تجلّى في عدة مربعات للحالات. لا يمكن إذن أن يتعرّف عليها في المربع التقسيمي ذاته. فمربعات الحالات في الواقع هي تجلّيات مؤسّنة لقيم العميقه للدلاليات الأساسية (لمربع التقسيمي). يمكن إذن إدراك مربعات الحالات باعتبارها ما أطلق عليه غريماص تسمية الدلاليات السردية وما أراه بمثابة العالم الدلالي الأدنى منظوراً إليه كـ"تمية نظرية" (isomorphe) لمربع التقسيمي، بمعنى آخر، اقترح أن يدرك العالم الدلالي الأدنى (للدلاليات السردية) كسلسلة من مربعات الحالات كل منها يمثل تجلياً مؤسّناً لقيم عميقه من المربع التقسيمي بحيث ينظم كل واحد منها عدداً من عناصر "عالم" الخطاب بناء على ضرورات المربع التقسيمي.

## I.2. التنظيم الدلالي والسردي في نص مركب

اقمنا النموذج السابق بالإحالة على مقولات مستمدّة من أبحاث بروب مفترضين قصة شديدة البساطة؛ إنها قصة أولى. لكي يعتبر هذا النموذج إجرائياً، لا بدّ من التخلّي عن المقولات البروبيوّة ذات الاستعمال غير المضمون. من أجل ذلك، تكفي ملاحظة أنّا استخدمنا هذه المقولات بصفة تسمح بالتعرف على تضادات التحوّلات السردية المتجلّية في نص، من جهة أخرى على نظامها التراتبي، حسب قانون التطور السردي. ليست وحدتها حصيفة التحوّلات التي يمكن التعرف عليها حسب المقولات البروبيوّة، بل وكذلك، جميع التحوّلات التي يجعلها النص متضادّة في ثنائيات. هكذا تعتبر التحوّلات الحصيفة تلك التي تتضاد في ثنائيات، إحداها على المحور السردي "الرئيسي" (المحدد كمجموع متراّب للتحوّلات التي توصل إلى تحقيق البرنامج السردي القاعدي الذي سميت به

أيضاً البرنامج السريدي النهائي)، الآخر على المحور السريدي "الجدالي" (باعتباره مجموعاً متراطباً من التحولات التي تتضاد مع تحقيق البرنامج السريدي النهائي). هذه التحولات الحصيفة هي ثائثيات متضادة لما تكون لها موضوعات متاقضة ومرسل إليهم متماثرون، أو مرسل إليهم متاقضون وموضوعات مشابهة (مثلاً هو الحال بالنسبة للمثال السابق). نسمى نسق تحولات حصيفة مجموع ثائثيات التحولات المفيدة المنتظمة حسب نظام التطور السريدي على المحور السريدي الذي يحكم هذا التطور (عامة، المحور الرئيسي، ولكن أحياناً المحور الجدالي). يمكن حينئذ التبيؤ أنه حتى قصة بسيطة نسبياً قد يتجلّى فيها أكثر من تضادين للتحولات وأن عالمها الدلالي الأدنى (دلالياتها السردية) تحتوي على عدة مزيقات حالات يتبع بعضها البعض. كلّ حالة باعتبارها وحدة مركبة تحتوي على ملامح دلالية حصيفة، بعضها يسمح لها بالاشتغال كحدود متخالفة لمرتع وأخرى كحدود متخالفة ذاتياً لمرتع آخر.

قد يتجلّى في قصة ما تكون أكثر تركيباً عالم دلاليًّا أدنى مكون من عدة أنساق من القيم يتمفصل بعضها عن بعض في مستويات سردية مختلفة. في الحقيقة، التطور السردي في كلّ قصة أولية يمكن تمثيله عن طريق مراتبٍ مكونة من مفهومات يرتبط بعضها ببعضها الآخر، لا يستطيع أن يأخذ تحول سرديًّا مكانه إلا إذا ما كانت ذاته مسبقاً متصلة مع (أو منفصلة عن) بعض الأشياء-الموضوعات *objets* (مساعدين لنمط ما أو آخر) في مفهومات سردية أخرى حيث تكون هذه الذات في موقع مرسل إليه؛ مثل هذه القصص الأولية (التي يمكن أن يُعرَف عليها شكليًّا بفضل انتقطاعات تسلسل المفهومات في المراتب السردية) تشكّل مستوى سرديًّا لما تلتقي في مراتب سردية واحدة (مثلاً، القصص الأولية المتعلقة بالبطل، بجوقته وبالمعتدى تلتقي عامّة، في الاختبار الرئيسي). لكن يمكننا أيضاً ملاحظة أنه عند حدّ ما، يتتابع التطور السردي ليس بعد تسلسل المفهومات السردية (كما وصفناها)، لكن بعد تأويل لقيمة (أو دلالة) التطور السابق. عند هذا الحدّ يبدأ مستوى سرديًّا آخر، مستوى سرديًّا لا يقتصر على حادثة، بل على تسلسله، ثم لا يخلو عن طرافة.

فصل معرفيّة. عندئذ، هذا المستوى السردي الثاني قد يكون أيضاً تداولياً أكثر منه معرفياً. يتطلّب بالضرورة نسقاً آخر للقيم تشاكلـ آخرـ ولكنـه مع ذلك يتمفصـلـ في نسقـ القيمـ التشاكلـ الذي يتطلّبـ التطورـ السرديـ السابقـ. لقد سمّيـتهاـ "تشاكلـاتـ" لأنـ كلاًـ منهاـ تسمـحـ بقراءـةـ : المستوىـ السرديـ الأولـ فيقرأـ بناءـ علىـ تشاكلـ مضـمرـ فيـ جزـءـ منـ القصـةـ، بعدـ ذلكـ، لماـ يدخلـ المستوىـ السرديـ الثانيـ معـ التشاكلـ المضـمرـ فيهـ، تعادـ قراءـةـ المستوىـ الثانيـ، عنـ طرـيقـ قراءـةـ ارتـدـاديـةـ، بالـنـظـرـ لـالـشاـكـلـ الجـديـدـ. يـتـركـبـ إذـنـ المستوىـ السـرـديـ الثـانـيـ منـ قـصـصـ أـوـلـيـةـ تـفـترـقـ عـنـ قـصـصـ أـوـلـيـةـ مشـكـلـةـ لـالمـسـتـوـيـ السـرـديـ الأولـ،ـ بحيثـ منـ أـجـلـ درـاسـةـ نـسـقـ الـقيـمـ الـتيـ يـتـطلـبـهاـ نـصـ ماـ،ـ أيـ عـالـمـ الدـلـالـيـ الأـدـنـيـ (ـدـلـالـتـهـ السـرـديـةـ)،ـ لـابـدـ إذـنـ منـ درـاسـةـ المـراـقـبـيـةـ السـرـديـةـ بـعـنـيـةـ بـحـيثـ يـتـمـ التـعـرـفـ عـلـىـ المـسـتـوـيـاتـ السـرـديـةـ (ـالـتـعـرـفـ عـلـىـ الـقـصـصـ الـأـوـلـيـةـ فـيـ ذـاتـهـاـ لـيـسـ أـسـاسـيـاـ).ـ إنـ نـمـوذـجـ الـعـلـاقـةـ بـيـنـ التـرـكـيبـ السـرـديـ وـالـدـلـالـةـ السـرـديـةـ المـعـروـضـ سـابـقاـ لـيـسـ عـمـلـيـاـ،ـ فـيـ الـوـاقـعـ،ـ إـلـاـ فـيـ سـيـاقـ كـلـ مـسـتـوـيـ سـرـديـ.

هـكـذاـ يـمـكـنـ تـلـخـيـصـ العـناـصـرـ الرـئـيـسـيـةـ لـلـحـجـةـ الـتـيـ تـهـدـيـ إـلـىـ تـحـدـيدـ التـرـكـيبـ السـرـديـ الـتـيـ تـبـدوـ مـفـيـدـةـ لـمـاـ تـوـضـعـ فـيـ الـحـسـبـانـ الـعـلـاقـاتـ بـيـنـ التـرـكـيبـ السـرـديـ وـالـدـلـالـيـاتـ السـرـديـةـ المـدـرـكـةـ عـلـىـ أـنـهـاـ مـرـكـبـةـ مـنـ عـدـةـ تـشـاـكـلـاتـ.

### 3.I من النموذج النظري إلى منهج تحليل

اعتمادـاـ عـلـىـ الـمـلـاحـظـاتـ النـظـرـيـةـ السـابـقـةـ يـمـكـنـتـاـ تـصـوـرـ إـقـامـةـ منـهـجـ تـحـلـيلـ يـرمـيـ إـلـىـ تـوـضـيـحـ نـسـقـ الـقيـمـ (ـأـوـ العـالـمـ الدـلـالـيـ الأـدـنـيـ)ـ الـذـيـ تـتـطلـبـ قـصـةـ ماـ انـطـلـاقـاـ مـنـ درـاسـةـ تـنظـيمـهاـ السـرـديـ السـطـحـيـ.

منـ الـمـنـاسـبـ قـبـلـ كـلـ شـيـءـ التـعـرـفـ عـلـىـ كـلـ مـلـفـوظـ سـرـديـ حـسـبـ نـمـوذـجـ،ـ يـسـمـحـ،ـ منـ نـاحـيـةـ بـالـبـيـانـ الـواـضـعـ لـلـتـحـولـ (ـمـوـمـرـسـلـ إـلـيـهـ)ـ الـذـيـ يـنـدـرـجـ فـيـهـ،ـ وـمـنـ نـاحـيـةـ أـخـرىـ،ـ بـالـتـعـرـفـ عـلـىـ الذـاتـ وـمـؤـهـلـاتـهاـ (ـاـسـتـثـمـارـ الـمـوـاـقـعـ الـعـاـمـلـيـةـ الـمـسـاعـدـ،ـ الـمـرـسـلـ،ـ وـصـفـةـ اـحـتمـالـيـةـ،ـ الـمـعـارـضـ).

اعتماداً على هذا التحديد للمفظات السردية، يمكن حينئذ دراسة المراتب السردية بهدف مزدوج : (أ) بشكل يسمح بتحديد المستويات السردية؛ و(ب) بشكل يسمح بيان إلى أي محور سردي، رئيسي أو صدامي، ينتمي كلّ برنامج. ينتج عن ذلك إذن، إمكان إقامة نسق التحوّلات المفيدة (التركيب الأساسي) لكلّ مستوى سردي مع بيان ماهي التحوّلات التي تتضاد في شائطيات وتنظيمها حسب نظام التطور السردي على المحور الذي يحكم هذا التطور.

من نسق التحوّلات المفيدة، يمكننا استخلاص ما نسميه "النسق الرمزي المشكّل من مريّعات سيميائية متتابعة خلف بعضها وحيث تكون الحدود في مجموع الاستثمارات للموقع العاملية للذّات، المساعد، المرسل (واحتمال، المعارض) الموافقة للتحوّلات الحصيفة. تسمح دراسة للعلاقات بين حدود كلّ مربيّ سيميائي للنسق الرمزي بإبراز الملامح الدلالية المفيدة (أي تلك التي اختارها النص باعتبارها مفيدة من بين العديد من الملامح الدلالية التي يحملها كلّ مأصل بالقوة والتي تشكّل العالم الدلالي الأدنى الذي يتطلّبه النص).

تسمح عندئذ دراسة مقارنة لهذه المريّعات الخاصة بالعالم الدلالي الأدنى (بالدلالة السردية) باحتمال استخراج المربيّ التصنيفي (الدلالة الأساسية). من ناحيتي، لا أصل بالتحليل إلى هذه المرحلة الأخيرة بسبب طابعها الموغّل في التجريد. من أجل إدراكيها، سنكون محكومين بأنسنتها (مشكّلين معانٍ الدلالة الأساسية). في جعلِي للعالم الدلالي الأدنى للخطاب هدفاً لتحليلي، يمكنني حينئذ المكوّث في مستوى عمليّات الأنسنة المقترحة من طرف الخطاب المدرّوس، مما يسمح لي باستخلاص نتائج خاصة بتأثير المعنى المستخرج من التنظيم الدلالي للنص ومن تجلّيه في التركيب السردي. يصبح حينئذ ممكناً النظر إلى استثمار التركيب الأساسي (النسق التحوّلات) عن طريق العالم الدلالي الأدنى، وهو ما سماه ليفي ستروس Lévi-Strauss البنية الأسطورية حيث تكون الوحدات ميتامات mythèmes تؤلّف كلّ واحدة منها بين حالة وتحول (وظيفة).

## II. مثال : تحليل نصّ مارك، الفصل الخامس (إنجيل القديس مارك (Evangile selon saint Marc

### شفاء معتوه في المدن العشر

(Guérison d'un démoniaque dans la Décapole (Mt 8,28-34, Lc 8,26-39))

1 وصلوا إلى الجهة الأخرى من البحر، إلى بلاد الجرشيين. 2 لما نزلوا من القارب، سارع رجل ملكته روح شريرة لملاقاته، خارجا من الدّير. 3 كان يسكن في المقابر لم يستطع أحد أن يقيده ولو بسلسلة. 4 لقد كان من قيل مقيدا باستمرار بقيود وسلالس، لكنه قطع السلاسل وكسر القيود، ولم تكن لأحد القدرة على السيطرة عليه. 5 كان يقضي وقته ليلاً ونهاراً، بدون انقطاع، في المقابر والجبال، يطلق صيحات وتمزّقه الصخور. 6 لما رأى يسوعا من بعيد، جرى وخرّ ساجدا أمامه. 7 صاح بصوت عال : "لماذا تحشر نفسك، يا يسوع، ابن الرب، لا تخذني". 8 فقال له يسوع: "أخرجي من هذا الرجل، أيتها الروح الشريرة". 9 سأّلها: "ما اسمك؟" أجابته: "أسمي فوج، لأننا كثُر". 10 وتوسلت إليه بإلحاح أن لا يبعث بها خارج البلاد. 11 وقد كان هناك، بمحاذاة الجبل، قطيع كبير من الخنازير يرعى. 12 توسلت الأرواح الشريرة ليسوع قائلة له: "ابعثينا إلى الخنازير لنتقمّصها". 13 أذن لها. خرجت. تقمّصت الخنازير، ورمى القطيع بنفسه من أعلى المنحدر صوب البحر؛ كان عددها يربو على الألفين وقد غرفت في البحر. 14 أولئك الذين كانوا يرعونها هربوا ونقلوا الأمر إلى المدينة والى الأكواخ. وأقبل الناس ليروا ما حدث. 15 وصلوا عند يسوع فرأوا المعتوه، جالسا، لابسا، وفي كامل قواه العقلية، هو الذي كان قد تقمّصه الشيطان فوج. استبدّ بهم الرعب. 16 أولئك الذين كانوا قد شاهدوا الأمر حكوا لهم ما وقع للمعتوه وما حصل للخنازير. 17 أخذوا يتوكّلون يسوع لكي يبعد عن أرضهم. 18 لما صعد في المركب، ترجلَ ذلك الرجل الذي كان معتوهاً أن يصبحه معه. 19 لم يأذن له يسوع، لكنه قال له: "اذهب إلى دارك عند أهلك وانقل لهم كلَّ ما فعل الله من أجلك لما وسعتك رحمته". 20 ذهب الرجل إلى المدن العشر مصرحاً بما فعله يسوع من أجله. واستبدّت الدهشة بالجميع.

*Traduction oecuménique de la Bible, Cerf, Bergers et Mages, Paris, 1975.*

تبعاً للمنهج الموصوف بصفة مختصرة أعلاه، نبدأ بالتعرف على مختلف الملفوظات السردية في النص (انظر : ص 12) وتمثيلها الشكليّ، بحيث يتم إبراز تحولاتها. لسنا هنا في حاجة إلى إعادة عرض جزء من التحليل الذي يتضمن دراسة كل حدث ينتمي لمقوله الفعل (وليس منتمياً لمقوله الكينونة أو الملكية)؛ هذه العملية لا تشكّل عقبة، خاصةً عندما يتم اختيار لغة واصفة منسجمة.

## 1.II. نسق التحوّلات الحصيفة

من أجل التمكّن من إقامة نسق التحوّلات الحصيفة، لابدّ بعدئذ من التمييز بين الملفوظات الرئيسيّة من الملفوظات الجداليّة *polémiques* (التي تتسمi للمحور الجداليّ كما هو محدّد أعلاه. ص، 14). ولهذا، لابدّ من تمييز المستويات السردية (ينظر : ص 15).

نلاحظ أنّ المراتبّية تتعرّض للقطع مرّتين. النصّ الذي بين أيدينا مشكّل من ثلاث قصص فرعية : قصة شفاء المعتوه، قصة حرّاس الخنازير والناس، قصة المعتوه بعد أن شفي. في الواقع، نحن أمام حضور مستويين سرديين فقط: القستان الفرعيتان الأخيرتان مؤسّستان على تأويل للأولى. تظهر القصة الفرعية المتعلّقة بشفاء المعتوه، كما جاءت في هذه الآيات، باعتبارها تمثّل المستوى السردي الأول، القستان الفرعيتان التاليتان تتّميّزان إلى المستوى السردي الثاني، الذي نستطيع تسميته مستوى "تأوّيلياً". هاتان القستان الأخيرتان متجاورتان، ومن هنا تمّ وضعهما بموازاة بعضهما. وتصفان موقفين متضادّين تجاه يسوع وما فعل. البعض (حرّاساً وأناساً) أولوا سلباً ما جرى (هربوا وخافوا)، البعض الآخر (المعتهو الذي شفي) يؤوّل نفس الحادث إيجاباً بمساعدة يسوع، كتجلى لرحمة الله. في مقاربة أولى، يمكن القول بأنّ إحدى هاتين القستان تتجلى فيها عناصر المحور الرئيسيّ للمراتبّية وتتجلى في الأخرى عناصر المحور الجداليّ. لكنّ يجب عدم استبعاد إمكانية تجلّي ملفوظات متضادة في كلّ من هاتين القستان. فكما أنّ هناك بعض التقدّم السردي الصادر عن القصة الفرعية المتعلّقة بالحرّاس والناس في اتجاه قصة المعتوه الذي

شفى (توجه إلى يسوع بعد أن طرده الناس)، لابد من استخلاص أنَّ القصة الفرعية الثانية هذه يتجلّى فيها، خاصةً في برنامجه النهائي، المحور الرئيسي يمكن بعده إبراز نسق التحوّلات المفيدة. من أجل ذلك، يكفي وضع قائمة ببرامج المحور الرئيسي وكتابة برامج المحور الجدالي الذي تتجلّى فيه التحوّلات المضادة، في مقابلها. لا يحتفظ عندهنَّ في هذه القائمة إلا بالبرامج التي تكون لها برامج مضادة. تجري العملية، بحيث نحصل على النسق التالي، سيكون منتظمًا حسب التطور السردي على المحور الرئيسي (نشير بالأرقام للآيات التي تجلّت فيها التحوّلات):

### نسق التحوّلات المفيدة

(-) (المحور الرئيسي)	(+) (المحور الجدالي)	التحولات المفيدة
لت 15 ج الناس (خوف - الناس) لت 16 ب حراس (رسالة - الناس)	لت 20 ج الأهالي (دهشة - الأهالي) لت 19 ج، 20 ب الرجل الذي شفى (رسالة - أهالي)	التحولات المفيدة
لت 17 ب الناس ( مهمة - يسوع) لت 8 ب الرجل الذي شفى ( مهمة - يسوع)	لت 19 ب يسوع ( مهمة - الرجل الذي شفى)	التحولات المفيدة
لت 13، 4، 5 ب أرجل معتوّه (جراح - رجل معتوّه) لت 10 ب روح (روح - خارج البلاد)	لت 13 ج خنازير (موت - خنازير)	التحولات المفيدة
لت 7 ب روح ( مهمة - يسوع) لت 17 ب، 18 ب يسوع (خارج البلاد - يسوع)	لت 12 ب، 13 ب روح (روح - خنازير) لت 18 ب يسوع ( مهمة - روح) لت 12 ب يسوع (بلاد - يسوع)	التحولات المفيدة

الوظائف ت 20 ج و ت 15 ج المرسل إليه نفسه، حدّد فقط على أنه "أناس البلد"، ولكن لهما موضوعين متضادين : دهشة (كموقف إيجابي) عكس خوف (كموقف سلبي). مثل ذلك ت 19 ج، 20 ب وت 16 لها موضوعات متضادة:

رسالة المعتوه الذي شفي هي تأويل لما حدث باعتباره من فعل الرب وكتجل لرحمته، بينما رسالة الحرّاس هي وصف لما حدث بدون الإشارة إلى الله. ت19ب، باعتباره تكليفاً بمهمة (مقيمة ببرامج انتقال) للمعتوه الذي شفي هو مضاد لـ ت18ب وت17أ اللذين يجيئان أيضاً تكليفاً بمهمة (مقيناً ببرامج انتقال) لكن مرسلاً إليه آخر: يسوع. وما دام معنا تجيئان بهذه الوظيفة فإن ذلك يؤكّد أنَّ هذا التضاد حصيف. هكذا، في المستوى السردي الثاني، تجلّت ثلاثة تضادات حصيفة.

في المستوى السردي الأول، تتجلى في ت3اب وت13، 4، 5ب تحولات متضادة: موضوعات "الموت" (غرقاً) و"الجراح" (التي يمكنها أن تسبّب في الموت) يمكنها أن تدمجاً، لأنَّ الاثنين يمكن تأويلاً لها باعتبارهما "تحطيمما ذاتياً"، بينما المرسلا إليهما متبايانان (الخنزير والرجل). التضاد بين ت2اب، 13اب عكس ت10اب واضح: لهذه البرامج نفس الموضوع ولكن لها مرسلان إليهم متضادان. التضاد ت18 عكس ت7ب هو حصيف من حيث أنَّ كلَّ واحد من البرنامجين له كموضوع مهمَّة تهدف إلى إقامة برنامج يخصُّ مصير الروح الشريرة بالنسبة لبلاد الجريشيين. المسألة المطروحة هنا تتمثل في معرفة إذا ما كان هذا البرنامج سيفرض على الروح الشريرة (من طرف يسوع، ت18) أو على يسوع (من طرف الروح الشريرة، ت7ب). في التضاد ت2اب عكس ت17اب، 118، هذا التحول الأخير (ت17اب، 118) ينتمي للمستوى السردي الثاني من حيث كونه النتيجة النهائية لفعل التأويلي للناس. لكنَّه ينتمي في نفس الوقت للمستوى السردي الأول الذي يتميّز بأفعال يسوع والتي سوف تستأنف في الآية 21 وما يليها. لهذا يصبح أمراً مشروعاً الاحتفاظ هنا بالتضاد الأخير الذي هو، في موضع آخر، موسوم بوضوح.

## 2.2. من النسق الرمزي إلى العالم الدلالي الأدنى للنص

من نسق التحوّلات المفيدة (نسق التضادات السردية)، يسهل استخلاص النسق الرمزي (نسق التضادات الدلالية) إذا وضعنا في الحسبان علاقة إسقاط صعيد على آخر والذي كنّا قد ناقشناه في الجزء النظري من هذا العمل.

ج 15 أنس		
ج 16، 14 ب حراس		ج 20 ج أهالي
ج 17 أنس		ج 19 د، 20 ب الرجل الذي شفي
ج 18 الرجل الذي شفي		
ج 3، 5 ب الرجل المتعوه		ج 19 ب يسوع
ج 10 ب روح شريرة		ج 13 د خنازير
ج 7 ب روح شريرة		ج 12 ب، 13 ب روح شريرة
ج 17 ب، 18 ب يسوع		ج 18 ب يسوع
		ج 2 ب يسوع

يقدم إنجيل مارك من بدايته حتى نهايته يسوعا (في نشاط التعزيم كما هو في أي نشاطات أخرى) كتجلي للمحور الدلالي الموجب. من هنا، فإن المحور الرئيسي لنسب التحوّلات يوافق المحور الإيجابي للنحو الرمزي.

في الرسم المبين أعلاه، استخدمت ذوات التحوّلات لتمثيل التعبير الرمزي لكل حالة بصفة موجزة. فالتعبير الرمزي التام لحالة ما يتضمن مختلف مؤهلات الذات التي تتجلى عن طريق استثمارات الواقع العاملية للمساعد، المرسل والمعارض. لكن جميع هذه الاستثمارات ليست مفيدة. وحدها مفيدة تلك الاستثمارات التي تحتوي على ملامح دلالية والتي تضع هذه الحالة في علاقة تخالف ، تناقض أو تتلازم مع المنازل الأخرى للمربي (أو المريعات) الذي (أو التي) تتنمي إليه (أو إليها). علينا إذن دراسة هذه المريعات بحيث يتم إبراز هذه الملامح المفيدة: بذلك، نكشف عن العالم الدلالي الذي يفترضه النص.

للنظر في هذه المريعات على التوالي، نضع أولاً قائمة بمختلف مؤهلات كل ذات، مدمجين فيها الاستثمار الدلالي المتأني من العلاقة ببرامج أخرى في المراتبة السردية (هذا النمط من الاستثمار ترك دائماً جانباً في مجرى التعرف على

## المرّبع السردي والتركيب السيمياني

البرامج). استثمارات المرّبع الأول (أدنى، وص17) يمكن تقديمها كالتالي (مس = مساعد؛ مع = معارض؛ مر = مرسل):

### المرّبع الأول للنحو المرمي

ح7ب روح شريرة	ح12ب، 13ب أرواح شريرة
مس: رجل معتوه،	مس: أرواح شريرة (متطوّعة)،
عهد باسم الله،	إرادة،
معرفة بخصوص هوية يسوع،	قطيع خنازير،
اعتراف بسلطنة يسوع،	إذن (يسوع).
إلحاح،	
مع: يسوع، ابن الله في السموات العليا	مر: يسوع.

ح17ب، 18ب يسوع	ح18 يسوع
مس: قارب،	مس: بلاد الجرشين،
تосّلات،	رجل معتوه،
علم معرفة حول هوية الروح الشريرة،	خضوع لإرادة الناس.
سلطة (على الأرواح الشريرة).	
مر: أناس (الذين خافوا).	مع: رسالة الرجل المعتوه،
	تосّلات الروح الشريرة،
	روح شريرة.

في هذا المرّبع الاستثمارات الوحيدة المفيدة هي تلك التي تخصّ الـ/ السلطة<sup>1</sup>/.

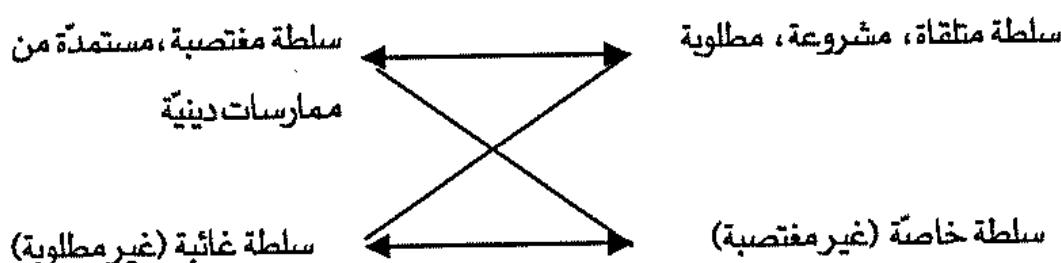
سلطة يسوع (ح18) و/سلطة/ الروح الشريرة (ح7ب) وهما متافقتان. ليسوع سلطة خاصة به. الروح الشريرة ليست لها سلطة على يسوع نابعة من نفسها: من خلال توسّلاتها تعرف بسلطة يسوع عليها. للروح الشريرة سلطة "مستعارة": نابعة من معرفتها بموضوع الانتساب الريّاني ليسوع ومن عهد أعطته باسم الله. إنَّ الأمر يتعلق بسلطة يتحصل عليها عن طريق معرفة وممارسة دينيتين (العهد). هذه

السلطة الدينية، المستعارة من الله. هي غير شرعية لأنّها استعملت ضدّ "ابن الله الذي في السموات العليا". هكذا تمّ وضع /السلطة الخاصة/ ليسوع و/السلطة/ المستمدّة من ممارسات دينية مفترضة /لروح الشريرة، في تناقض.

سلطة الأرواح الشريرة (13ب) هي علاقة تناقض مع الروح الشريرة (ح7ب). فالأرواح الشريرة لها سلطة متلقاة بصفة مشروعة (إذن من يسوع) الذي طرح كمخالف للسلطة المفترضة للروح الشريرة.

/السلطة الخاصة/ ليسوع (ح18) هي في علاقة تناقض مع /غياب السلطة/ (الخضوع) الذي ميّز يسوعاً في علاقاته مع الناس (ح17ب، 118).

أخيراً سلطة الأرواح الشريرة (ح12ب، 13ب)، التجليّة كـ"إذن"، هي في تناقض مع غياب سلطة يسوع (ح17ب، 118) التجليّة كـ"خضوع". يفترض الإذن "سلطة مطلوبة"، يفترض الخضوع أنّ السلطة غير المطلوبة بذلك تكون غائبة. نحصل هكذا على مرّيّ أول للعالم الدلالي الأدنى للنصّ.



هذا العنصر الأول للعالم الدلالي للنصّ يمنحك مسبقاً إمكانية معالجة قسم من آثاره المعنوية. من أجل ذلك، لننظر كيف أنّ قيم التحوّلات (الموضحة بمساعدة المريّ) تتّالُف مع قيم الوظائف (مكونة ما سمّاه ليفي ستروس الميتامات les mythèmes).

لقد وسم يسوع بثلاثة أنماط من السلطة في النصّ الذي بين أيدينا: يختزن في ذاته سلطة شرعية على الأرواح الشريرة (ح18)؛ ليس له سلطة على الناس وليس طالباً لها (ح17ب، 118)؛ إضافة إلى ذلك، يختزن في ذاته سلطة شرعية على الريح والماء (ح12، كما يكشف تحليل مارك). للتضادّ الحاصل بين يسوع ذي السلطة على الأرواح الشريرة (يسوع القويّ) ويسوع الفاقد لهذه السلطة على الناس وغير

الباحث عنها (يسوع الضعيف) كوساطة يسوع الذي له سلطة على القوى السماوية (يمكنه أن يكون لها سلطة على الناس، ولكنه لا يبحث عن قدرة من هذا القبيل). إنه بسبب العالم الدلالي المفترض من طرف النص، الذي يمنح قيمة دلالية إيجابية لواقعة امتلاك سلطة شرعية، لشخصية يسوع قيمة دلالية إيجابية غامضة. ففي علاقته بالناس والأحرى بمن كان يعيش بينهم، فشل يسوع أو أنه حتى لم يبحث عن النجاح ومن هنا يالها من سلطة ومن قوّة يمتلكها يسوع اتجاه الأرواح الشريرة والطبيعة تبعث على الدهشة. هذه الملاحظات تسمح بمراجعة انسجام هذا النص مع قصة الآلام والبعث (فصل 14 حتى 16:8).

تمّ وسم الأرواح الشريرة بنمطين من السلطة: فقد تلقت سلطة شرعية على الخنازير (ح12ب، 13ب) وسلطة دينية مفترضة على يسوع (ح7ب). يتلقى التضاد ما بين هذين الميتامين ك وسيط السلطة الخاصة والشرعية ليسوع على الأرواح الشريرة (ح18) والتي يستطيع يسوع أن يستعملها لكي يمنح سلطة شرعية (إذن) للأرواح الشريرة. إن لاستخدام سلطة على العالم الحيواني قيمة دلالية إيجابية؛ وفي المقابل، يكون لاستعمال سلطة مستمدّة من ممارسات دينية على يسوع لها قيمة دلالية سلبية.

الأرواح الشريرة كما هي تستطيع أن تمثل كذلك بصفة مجازية الرجال الذين تلقو سلطة على عالم الحيوان (قصة الخلق 1:26) والذين يستعملون أيضا سلطة مستمدّة من ممارسات دينية على يسوع (وأشخاص آخرين، كالأتّباع، الذين هم مثله يطلبون السيادة على الرجال).

## المربي الثاني للنسق الرمزي

مع أننا اعتبرنا سابقاً المخالفات الذاتية في المربي الأول (حيث كانت مخالفات)، لابدّ الآن من النظر إليها من جديد بحيث يتم تحديدها حسب حدود علاقات المربي الثاني، حيث تتدخل كمخالفات ذاتية بفضل ملامح دلالية حصيفة أخرى.

### ح13د خنازير

مس: أرواح شريرة،

قطيع كبير، أفنان،

بحر.

مع: قطيع الخنازير.

مر: أرواح شريرة.

### ح10ب أرواح شريرة

مس: عدم إرادة (الخروج من البلد)  
في البلد.

مع: روح شريرة.

مر: يسوع.

### ح7ب روح شريرة

مس: مفرد،

رجل معتوه،

عهد باسم الله،

معرفة بخصوص هوية يسوع،

اعتراف بسلطة يسوع،

إلحاح.

مع: يسوع، ابن الله في السموات

العليا.

### ح12ب، 13ب أرواح شريرة

مس: أرواح شريرة (متطوعة)،

إرادة (للذهب وتقمص

الخنازير)،

قطيع خنازير،

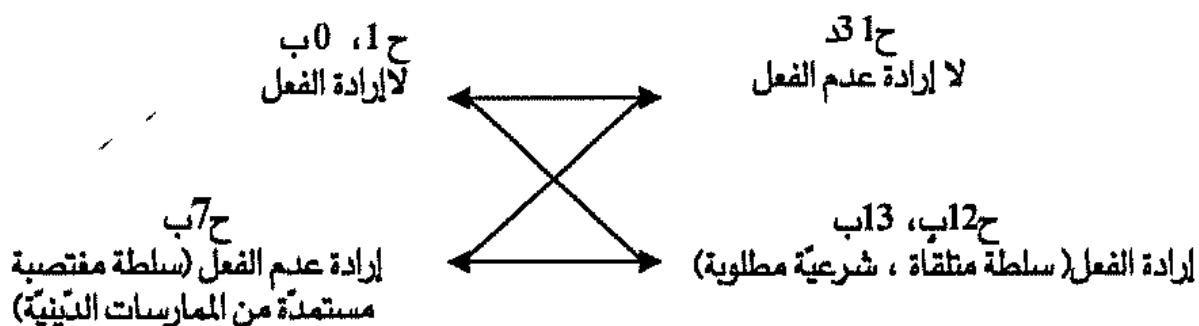
إذن (يسوع).

مر: يسوع.

إن الاستثمارات الحصيفة الوحيدة في هذا المربع هي تلك المتعلقة بـ/ الإرادة/.

نلاحظ في البداية بأنَّ الروح الشريرة في ح10ب موصوفة بشكل واضح بـ/لا-  
إرادة/ أو بشكل أكثر دقة بـ/الإرادة الفعل/: فهي لا تريد الخروج من البلد. في  
المقابل، نجد في ح12ب، 13ب، أنَّ الأرواح الشريرة وصفت بـ/إرادة الفعل/ (تريد  
تقمص الخنازير) وهو ما ينسجم مع القيمة التي أسندها لهذه الحالة في المربع  
السابق: سلطة متقنة ومطلوبة تفترض إرادة الفعل. بصفة مشابهة، في ح7ب،  
الروح الشريرة موصوفة بتتوفر /الإرادة/: فهي تتجذر لكن الأمر هذه المرة تمثل في  
/إرادة عدم الفعل/، المنسجمة مع سلطة مستعارة. في الأخير، ينجز الخنازير (في  
ح13د) هذا الأداء بدون أيَّة مقاومة رغم أنها ضحية: إنَّها متميزة بـ/غير مرغدة لأنَّ

تقلع/. إن المربي الثاني لنصلنا ما هو سوى أحد مربعات الصيغ المقترحة من طرف غريماص (الفرق الوحيد هنا يتمثل في أنه جاء معكوسا بالنسبة للصياغة النظرية التي وضعها غريماص).



هذا العنصر الثاني للعالم الدلالي المفترض من طرف النص الذي بين أيدينا يسمح لنا بمعالجة أبعاد أخرى لأثر المعنى فيه بمراعاة الميتامات، أي معرفة كيف تتألف هذه الحالات مع الوظائف. أولا للأرواح الشريرة إرادة (سواء كانت إرادة فعل، أو إرادة عدم الفعل أو لا إرادة عدم الفعل): لا يُدعى إمكان السيطرة عليها كما يسيطر على الأشياء أو الحيوانات (أو بالأحرى حيوانات معتوهة) والتي تميز بسلبيتها (فالخنازير كحيوانات معتوهة استسلمت لما وقع لها: فهي لا تريد أن لا تفعل) ما يدل على تشخيص الأرواح الشريرة المفترض من طرف النص الذي بين أيدينا تشخيصا محددا: لها إرادة موسومة وخاصة جداً. من هنا، ترمز لنمط معين من الإرادة، التي تسقط إرادة الفعل العادية عند الممسوس (إنسان أو حيوان : هذا التمييز ليس مفيدا هنا). هذا يؤكّد الصلة الموجودة بين الإرادة والهوية. لها/إرادة في الفعل / (ح 12ب، 13ب) فقط عندما تضع المهمة التي تتكلّف بها في الحسبان هويتها (عددها). أضاف إلى ذلك فإن إرادتها مرتبطة بإرادة في البقاء على قيد الحياة. في الواقع، في ح 7ب /إرادتها في ألا تقلع/ هي /إرادة في عدم الهاك/ (الذي هو مناقض ل/ألا إرادة في عدم الهاك/ عند الخنازير في ح 12د.

يحتوي المربع الثالث للنحو المرمزي على حد ينتمي للمستوى السردي الثاني. من هنا، كما سنرى، ينتمي هذا المربع لتشاكل آخر. فالتشاكل الأول، الذي يحتوي على المربعين المدروسين أعلاه، هو إذن تشاكل للجهة وللقدرة وللإرادة.

### **المربع الثالث للنحو المرمزي**

**ح ١٣ ب رحل**

مس: روح شريرة، مقابر،  
جبال.  
صخور،  
قوة كبيرة.  
مع: أناس، قيود،  
سلسل، رجال.  
مر: روح شريرة.

**ح ١٩ ب يسوع**

مس: تسلّلات الرجل،  
قارب،  
خارج البلد،  
معرفة أن عمله من عمل  
الرب.

**ح ١٠ ب روح شريرة**

مس: لا إرادة، في البلد.

**ح ١٣ د خنازير**

مس: أرواح شريرة،  
قطيع كبير، ألفان،  
بحر.

مع: روح شريرة.

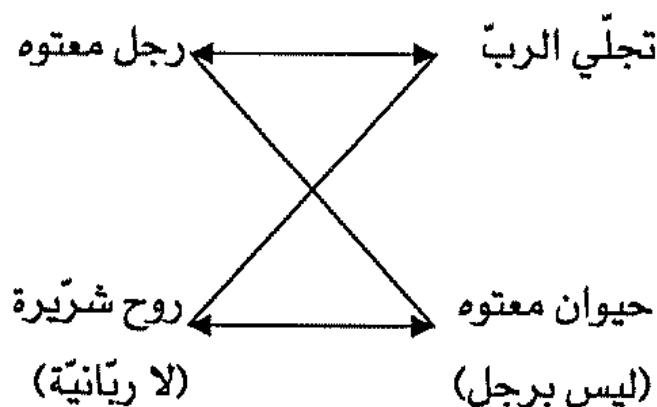
مر: يسوع.

مع: قطيع خنازير.

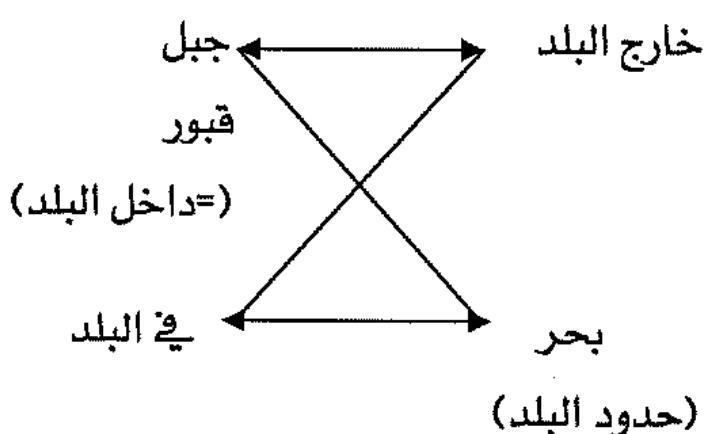
مر: أرواح شريرة.

في هذا المربع، نستطيع تمييز تطابق مربعين للحالات. في المربع الأول للحالات، نميز فضائين متشاكلين: أحدهما متعلق بالنمط الطبيعي الواقع تحت نفوذ شيطاني يجعل /الرجل المعتوه/ يتضاد مع /الحيوان المعتوه/؛

والآخر متعلق بالنظام ما فوق الطبيعي، الذي يجعل يسوع كـ/تجل للرب/ يتضاد مع /الروح الشريرة/. للخنازير قيمة /ليست ب الرجل/؛ للروح الشريرة قيمة /ليست بإلهية/؛



هناك مرئي ثان للحالات يتعلّق بالمقولات الفضائية. نكتفى بتقديمه:



يدل تطابق هذين المربعين، في النص الذي بين أيدينا، على أنه ينظر إلى المدن العشرة كبلاد دخلها الذئب (مكان سكنت فيه الروح الشريرة)، التي ارتبطت يومياً (ليلاً ونهاراً) بالرجل المعتوه. هذان الارتباطان، مهما كانت درجة اعتيادهما، لهما قيمة دلالية سلبية: إنّهما "غير عاديّين". فبقدر ما هو غير عادي أن يعيش رجل في المقابر، من غير العادي كذلك أن يظلّ هذا البلد سكناً للروح

أن يكون تجليّي الرب مرتبطاً بـ/خارج هذا البلد/ (الأرض المقدّسة)؛ من العادي أيضاً أن تكون الحيوانات، المدنسة بصفة مضاعفة كخنازير وكمعتوه، مرتبطة بالبحر، الذي يتميّز بكونه مكان القوى السماوية، وهي مدنسة أيضاً (انظر إنجيل القديس مارك 4:36-41).

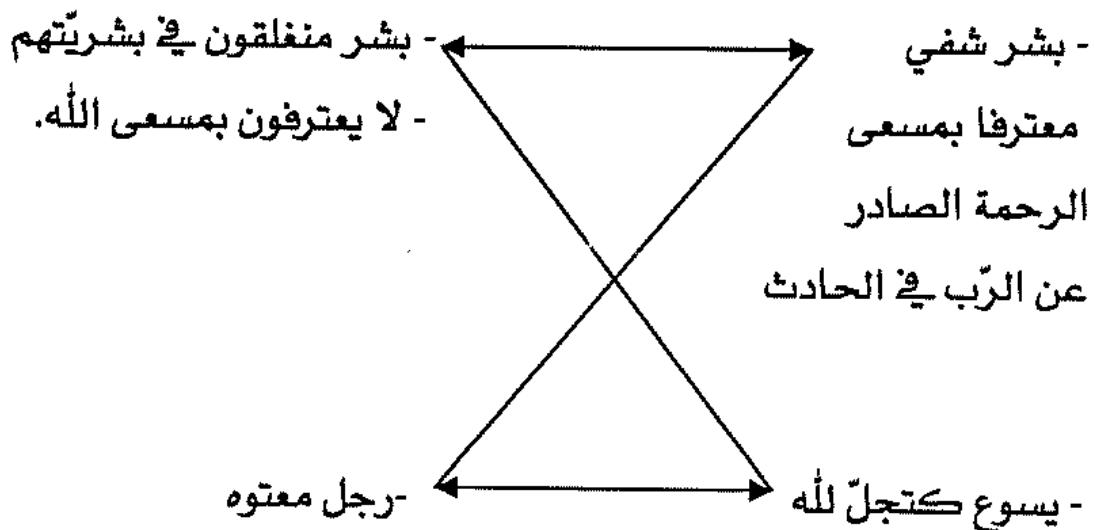
يقبل تضادّ الميتامات ما بين /تجليّي الرب خارج البلد/ و/الرجل المعتوه في المقابر/ كوساطة /الخنازير المعتوه في البحر/. إذا ما كانت هذه الحيوانات الدنسة مرتبطة، كما يجب أن يكون، بعالم القوى الدنسة، عندئذ يصبح التّقريّق بين الرجل المعتوه وتجلّي الرب ليس أمراً صعباً.

#### المريّع الرابع للنّسق الرمزي

ح19د، 20ب رجل شفي	ح17أ أناس	
مس: أهالي،	ح18ب رجل شفي	
داره المدن العشرة،	مس: (خوف)،	
شففي،	(حراس)،	
معرفة الرسالة	معرفة حول ما حصل،	
(ما فعل الرب من أجله)	اعتراف بسلطة.	
والتي تلقاها من يسوع،	يسوع،	
دون يسوع.	مع يسوع.	
مر: يسوع.	ـ مع: يسوع.	
ح9ب يسوع	ح4، 5ب رجل معتوه	
مس: توسّلات الرجل،	مس: روح شريرة،	
قارب،	مقابر، جبال،	
خارج البلد،	صخور،	
معرفة أنّ عمله هو عمل الرب.	قوة كبيرة.	
مع: أناس، قيود، سلاسل، رجل.	مر: روح شريرة.	

في حالة ح ١٧ وح ١٨ لا نحتفظ إلا بالمؤهلات المشتركة بين المفوظين باعتبارها مفيدة. من هنا، لا يمكن لتضاد التّخالف ما بين ح ١٩، ٢٠ وح ١٧، ح ١٨ إلا أن يكون تضاداً متعلقاً بمعرفة موضوع ما حصل. في ح ١٩، ٢٠ ب هذه المعرفة وفرها من تجلّى فيه الربّ، فهي تأويل للحادث الذي تمّ فيه التعرّف على مسعي الرحمة الصادر عن الله. في المقابل في ح ١٧، ح ١٨، هذه المعرفة هي تأويل من طرف بشر لا يميّزون في هذا الحادث مسعي الله (سواء أولوا هذا الحادث ليجابا أو سلبا). يمكن إذن قراءة هذا التضاد هكذا: /تأويل حادث في حدود مسعي الله/ عكس /تأويل حادث على الصعيد البشري بصفة حصرية/. إذا ما أدمجنا الآن الملامح الدلالية المفيدة الأخرى المتجلّية في كلّ حدّ،

نحصل على المرئ الآتي :



إذا ما نظرنا إلى العلاقات ما بين الميتامات (المؤلّفة بين الحالات والوظائف)، يمكن أن نسجل أنّ هذا المرئ يجعل وضعيتين بشريتين متخالفتين: وضعية الرجل المقوم، الذي أصبح يتمتع ب الإنسانية حقيقة (أصبح مع أهله ولم يبق في المقابر) والذي اعترف بمسعي الله، ووضعية الرجل "الأعمى"، المنغلق في عالمه البشري والذي لا يقوى على تمييز مسعي الله. فيسوع، كتجلّ لله يؤوّل الحادث باعتباره من فعل الله، يمثل وساطة هذا التضاد: رغم أنه خاضع للرجال "العمي"، فهو يتجلّ في مسعي الله ويعرف به. يمثل يسوع ونشاطه الضّمنة بأنّ التضاد

بين مؤمن وكافر ليس مستحيل التجاوز. لنسجل بأنه في النص الذي بين أيدينا، التضاد /مؤمن/ عكس /كافر/، هو أساسياً أكثر من التضاد بين /رجل شفي/ عكس /رجل معتوه/، الذي ما هو سوى تضاد تقاضي. يتمثل الشكل الحقيقى في الكفر، في نقص العقيدة، وليس في الإصابة بالمس. يمكن ملاحظة ذلك في سطح النص، فنسجل بأنه ليست هناك حتى الإشارة إلى أن الأرواح الشريرة قد غادرت الرجل : إننا نفهم ذلك بصفة غير مباشرة، بينما حتى حركات الأرواح الشريرة قد وضفت بعانيا.

**المربع الخامس للنحو الرمزي كلام ناقص ...**

**ح20ج أهالي**

رسالة الرجل،

دهشة.

**ح14، ح16 حراس**

رسالة بخصوص ما حدث،

خوف، هروب، مدينة، أ��واخ.

**ح19د، 20ب رحل شفي**

رسالة شفي،

أهالي،

داره، المدن العشرة

رسالة معرفة

(ما فعله ربّ من أجله)

جاء بها يسوع،

بدون يسوع،

مر : يسوع

**ح17 أناس**

**ح18 رجل شفي**

رسالة (خوف)،

(حراس)،

ـ معرفة حول ما حصل،

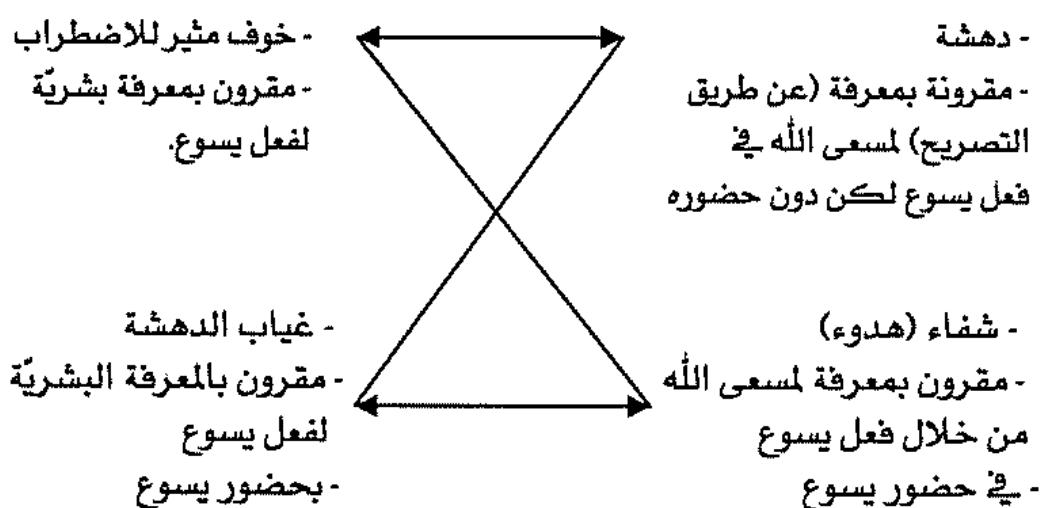
اعتراف بسلطنة يسوع،

مع يسوع.

تجعل علاقة التخالف ما بين ح20ج وح14ب، ح16 /الدهشة مقرونة بمعرفة عن نشاط يسوع كتجلى للرب/ في تضاد مع /خوف مقررون بمعرفة بشريّة حول

## الربع السردي والتركيب السيمائي

الحادث/. هذا الخوف المثير للإضطراب الذي يتجلّى في هروب، يتضادّ (تضادّ تناقض) مع الهدوء ("جالس، لابس وفيه كامل قواه العقلية" ، الآية 15) المنسوب لـ/الرجل الذي شفي معرفاً بمسعى الرحمة الصادرة عن الله في الحادث/. تضادّ دهشة أناس المدن العشرة الذين يمتلكون معرفة عن الحادث كفعل صادر عن الله بواسطة إعلان والذين هم بدون يسوع (ح20ج). (تضادّ تناقض) مع غياب الدهشة عند الناس والرجال الذين يمتلكون معرفة بشرية لهذا الحادث رغم أنهم كانوا مع يسوع.



الحد الإيجابي للتضاد الأساسي للعالم الدلالي في النص الذي بين أيدينا (مارك 1:5-20) هو أيضا الدهشة كتجربة دينية لاكتشاف سلطة الله في يسوع. حدّها نصنا كتجربة تحتل مكانتها لما لا تقع (أول من تقع أبدا) بمحضر يسوع ولما يعلن هذا المسعى الصادر عن الله من طرف شخص هو نفسه اكتشف هذا المسعى الإلهي بفضل تأويل ذلك الذي تجلّى فيه الله. الحد المخالف هو الخوف المثير للإضطراب الناتج عن تأويل بشري محض (بدون أن يميّز فيه مسعى الله) نفس هذا الحادث. الحد الوسيط لهذا التضاد هو الشفاء (كحالة)، الهدوء، السلام (دماء السلام، نسمة الشفاء)، حفظنا تحدّه. الله الناتج عنه.

تقتفي المربعات الثلاثة الأخيرة جمِيعاً للتشاكل نفسه الذي نستطيع أن ندعوه تشاكل "الشرط البشري" في علاقاته بـ"التجليات الإلهية".

### III. ما وراء هذا التفسير البنوي

هذا التفسير البنوي لا يزال بعيداً عن أن يكون تحليلاً سيميائياً مكتملاً للنصوص. قبل كل شيء، لنتذكّر، بأنه يتوقف عند مستوى البنية السيميوسردية، واضعاً هكذا ما بين قوسين كل ما يرجع للبنيات الخطابية. أضف إلى ذلك، لا يضع هذا التحليل في الحسبان إلا بعض عناصر ظواهر نصية ترجع إلى البنيات السيميوسردية. في الحقيقة، ترمي أولاً إلى الكشف عن القيم أو الحالات التي تشكّل العالم الدلالي الذي يفترضه النص. لما برزت هذه القيم، مهما كانت مؤقتة (اللغة الثانية المستخدمة لوصفها هي دائماً موضوع للمراجعة، فليس فيها ما هو مطلق)، نستطيع، اعتماداً على هذه القاعدة، دراسة عدة أوجه لرمزيّة النص. لقد أوحينا عن طريق بعض الملاحظات أولاً وقبل كل شيء لكيفية دراسة عناصر التركيب الأساسيّ التي تؤلّف بين الحالات والوظائف والتي سميّناها تبعاً لليفي ستروس، ميتامات. أضف إلى ذلك، عملنا حتّى على توضيح ما هي الإيحاءات المفيدة لبعض المأصل. كما وضح التحليل التشعّريّ أنه لكلّ مأصل، بصفة احتمالية عدد من الملامح الدلالية التي تكاد تكون غير محدودة العدد (ما دامت يمكن أن تكون محدودة نظرياً بالنسبة لجميع الفاظ القاموس). بعد تحليل مثل الذي قدمناه أعلاه، من الممكن التعرّف على موقع مأصل في النسق الرمزي وبيان ماهيّ الإيحاءات المتلقاة عن طريق اقترانه مع بعض القيم العميقّة وعن طريق مختلف العلاقات التي تربطه مع مأصل أخرى مقترنة بقيم أخرى عميقّة (مثل ما أوحينا بذلك عن طريق الفاظ شديدة العموميّة بالنسبة للمأصل "بحر"، "بلد"، "مقابر"، في ملاحظاتنا حول المربع الثالث للنسق الرمزي). إنّه في مثل هذه الدراسات للرمزيّة يعني هذا الجهد المبذول، من أجل إنجاز هذا النّمط من التحليل، ثمرته.

المؤلفات المشار إليها

- A.j.Greimas, Du sens, Essais sémiotique, Paris, Seuil, 1970.
- A.J.Greimas, Maupassant, La sémiotique du texte, Paris, Seuil, 1976.
- A.J.Greimas et J.Courtés, Sémiotique. Dictionnaire raisonné de la théorie du langage, Paris, Larousse, 1979.
- F.Nef et al., Structures élémentaires de la signification, Bruxelles, Editions Complexe, Paris, P.U.F., 1976.
- D.and A.Patte, Pour une exégèse, structurale, Paris, Seuil, 1978.
- D.and A.Patte, Structural Exegesis: From Theory to Practice, Fortress Press, Philadelphia, 1978.

المصدر

Carré sémiotique et syntaxe narrative: D.Patte, in Actes sémiotiques, Documents du Groupe de recherches Sémio-Linguistiques, E.H.E.S.S.-C.N.R.S. Institut National de la langue française, III, 23. 1981.

الحالات

1- وضعت / سلطة / بين عارضتين لكي أبين بأنَّ الأمر يتعلَّق بصياغة فوق لسانية لعنصر من العالم الدلالي الأدنى، يستخدم غريماص هذا التمييز للمعانم. فلاشكَّ أنَّ عناصر العالم الدلالي الأدنى هي وحدات دلالية أكثر تعقيداً.



